الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالميول الانتحارية

دراسة اجتماعية تحليلية في ضوء التحولات الاجتماعية المعاصرة

بقلم: د. حسن هاشم حمود/ باحث في مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تمهيد

تُعدّ ظاهرة الانتحار من الظواهر التي رافقت البشرية منذ القدم وحتى الآن، فضلًا عن أنها تحدث في جميع المجتمعات الإنسانية، سواء في الدول المتقدمة أو النامية، وعلى مختلف مراحلها، لكنها قد تكون نسبية وتختلف نسبتها من مجتمع إلى آخر، وفي الوقت الحاضر، أشارت تقارير منظمة الصحة العالمية بشأن الانتحار إلى أن هناك نحو 800,000 شخص ينتحرون سنويًا في العالم.

ومن الجدير بالذكر أن ارتفاع نسب حالات الانتحار في العراق يمثل ناقوس خطر يهدد البناء الاجتماعي للمجتمع؛ لأنها تخرج عن المألوف من القيم والمعايير والقوانين والشرائع السماوية التي تُعظّم أهمية الحياة وقدسية النفس البشرية، ويعود ذلك إلى مجموعة من الظروف الضاغطة التي تجعل الفرد يعيش في حالة من الاغتراب والبعد عن واقعه، فيضعف أمامها، وقد يندفع إلى إزهاق روحه من خلال التفكير في الانتحار.

وتتمحور مشكلة البحث حول التعرف إلى الكيفية التي يؤثر فيها الاغتراب الاجتماعي ومظاهره في دفع الفرد إلى التفكير في الانتحار.

يهدف البحث التعرف إلى:

1. ماهية الاغتراب وأنواعه وأبعاده.
2. الكيفية التي يؤدي بها الاغتراب إلى دفع بعض الأفراد إلى التفكير في الانتحار.

أولًا: أنواع الاغتراب

الاغتراب ظاهرة نفسية اجتماعية متعددة الأبعاد تتجلى في العجز، واللّا هدف، واللّا معيارية، واللّا معنى، وينتج عنها أنواع متعددة من الاغتراب قد تولّد اضطرابات سلوكية، ويُعد الانتحار أحد أشكال هذه الاضطرابات. وتتمثل أنواع الاغتراب في الآتي:

1. الاغتراب الاجتماعي

هو انهيار العلاقات الاجتماعية لدى الفرد نتيجة الشعور بعدم الرضا أو الرفض تجاه قيم الأسرة أو المجتمع ككل، وهو على الصعيد النفسي يجعل الفرد يفقد الشعور بالانتماء إلى المجتمع مع ميله إلى العزلة، لشعوره بأن ما يفعله ليس له قيمة ولن يؤثر في المحيط الخارجي؛ مما قد يعرّضه لأمراض نفسية جسيمة تنعكس على شكل انحرافات في مسارات متعددة، ويتمثل الاغتراب الاجتماعي في عجز الفرد عن التواصل والتفاعل الاجتماعي مع عادات وتقاليد وثقافة مجتمعه، مما يجعله ميّالًا إلى العزلة أو اللامبالاة بقيم ومعايير المجتمع، وقد يؤدي ذلك إلى اضطرابات في التفكير أو التفكير في الانتحار.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

2.الاغتراب الاقتصادي

تلعب العوامل والظروف الاقتصادية السيئة دورًا كبيرًا في ارتفاع نسب الانتحار، لاسيما في ظل اتساع متطلبات الحياة وتنوعها بشكل هائل، ومن هذه الظروف البطالة والفقر، إذ إنهما غالبًا ما يؤديان إلى تدني قدرة الفرد على تلبية احتياجاته الشخصية واحتياجات أسرته، ومن ثم تزايد حدة هذه الضغوط قد يدفع الفرد إلى الانكفاء على الذات وشعوره بالاغتراب، ما يدفعه إلى التفكير في الانتحار.

3. الاغتراب السياسي

هو حالة من الشعور بعدم الرضا وخيبة الأمل والانفصال عن القادة السياسيين والسياسات الحكومية والنظام السياسي ككل، ويمثل حالة من الانفصال عن الواقع السياسي نتيجة للنتائج السلبية لذلك الواقع، فشعور الفرد بوجود نظام سياسي لا يعير أهمية لقيمته ولا يهتم بتوفير الحد الأدنى من متطلباته، يخلق فجوة بين السلطة السياسية والمواطن، ويؤدي إلى اضطراب سلوكي لدى البعض يدفعهم إلى التفكير أو الإقدام على الانتحار.

4. الاغتراب الديني

الاغتراب الديني، كما يصفه علماء النفس، يتعلّق بالحاجات الروحية، وهي حاجات تدفع الإنسان إلى البحث عن إيمان أو عقيدة يعظمها ويقدّسها، ويرتبط بها ويتعبّد من خلالها. وتبرز أهمية الجانب الديني في علاقته بالاغتراب من خلال تصور "إريك فروم" لأساليب قهر الاغتراب، والتي تتمثل في: الوعي بالاغتراب، القدرة على تحمّل العزلة، بزوغ الأمل، وبعث الإيمان، والارتباط التلقائي بالعالم، وتسييد المجتمع السوي، ولا ريب أن انتشار القيم المادية وسيطرتها على القيم الروحية في أغلب المجتمعات، مع تفاقم الضغوط النفسية والاجتماعية، وتراجع الوازع الديني، قد يكون دافعًا قويًا للتفكير في الانتحار.

ثانيًا: أبعاد الاغتراب ومظاهره

لا يوجد إجماع بين الباحثين على تعريف موحد لمفهوم الاغتراب، فضلًا عن اتفاقهم على تنوع مظاهره وأبعاده، ومنها:

1. العجز (Powerlessness)

ويُقصد به شعور الفرد باللا حول ولا قوة، وأنه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، فلا يستطيع تقرير مصيره أو التأثير في مجرى الأحداث أو اتخاذ قرارات حياتية مصيرية، وتؤدي بعض الأزمات النفسية والاجتماعية والاقتصادية المصاحبة للمرض والعجز – مثل ترك العمل أو انقطاع المورد الاقتصادي – إلى هدم تدريجي لمعنى الحياة، مما قد يقود في النهاية إلى الانتحار

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

2.اللا معنى (Meaninglessness)

ويقصد به مدى إدراك الفرد وفهمه لما يدور حوله من أحداث، ويعرّفه "سيمان" بأنه توقّع الفرد بعدم القدرة على التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بنتائج سلوكه المستقبلي، ويغترب الفرد عندما لا يكون واضحًا لديه ما يجب أن يؤمن به أو يثق فيه، أو عندما لا يستطيع تحديد معنى لما يقوم به، وعندما لا يمتلك الفرد مرشدًا أو موجهًا لسلوكه ومعتقداته، فإنه يعيش حالة من اللا معنى، وقد يرى الحياة غير مفهومة وغير معقولة، مما يدفعه إلى اللا مبالاة التي قد تقوده إلى إنهاء حياته.

3. اللا معيارية (الأنوميا - Normlessness)

اللا معيارية هي ضعف وتراجع المنظومة القيمية في المجتمع، مما يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، ويزداد الأمر سوءًا مع تصاعد ظاهرة التفاخر والتفاهة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتآكل الخصوصية، وغياب المساحات الآمنة، وازدياد ثقافة الابتزاز والتشهير، ما يجعل الأفراد عرضة للتهديد والسيطرة عليهم، وقد يدفع ذلك إلى الانتحار كوسيلة للخلاص.

4. العزلة الاجتماعية (Social Isolation)

العزلة الاجتماعية ظاهرة نفسية اجتماعية، ينسحب فيها الفرد من محيطه الاجتماعي، مما يؤثر سلبًا في حياته النفسية والاجتماعية، ويؤدي إلى تدني احترام الذات وزيادة احتمالية الاكتئاب ومحاولات الانتحار، وقد بينت دراسات أن النساء اللاتي يعانين من العزلة الاجتماعية أكثر عرضة للانتحار.

ثالثًا: أهم الاستنتاجات

1. يُعد الاغتراب عاملًا مؤثرًا في دفع بعض الأفراد نحو التفكير في الانتحار.
2. تُعد البطالة والفقر من أبرز العوامل المؤدية إلى التفكير في الانتحار.
3. إن تشوّه القيم الدينية وانحرافها عن مسارها الصحيح يساعد على نشوء أفكار هدامة، مثل القتل وإزهاق الأرواح دون وجه حق.
4. الشعور بالألم والعجز وفقدان الحلول الواقعية قد يدفع البعض إلى الانتحار كوسيلة للهروب من الواقع.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة